حركة التعريب في المغرب العربي

الأستاذ ياسين رفاعية
دمشق .

تقوم في المغرب العربي الآن حركة واسعة لاعادة اللغة العربية الى سابق مجدها وعزها . فنشأت في مختلف البلدان هناك نواد وجمعيات ومعاهد وحملات اعلامية واسعة لتعود اللغة العربية وتصبح هي السائدة على كل شيء .

ولقد حاول الاستعمار طوال الاعوام التي مارس فيها سلطته واستعباده لارض الوطن العربي ان يزيل معالم هذه اللغة العظيمة فيطمس تراثها ويهيل التراب على آثارها ..

وكانت الجزائر هي ابرز دول المغرب العربي في التمسك بلغة الآباء والاجداد ، وما ان خرجت الثورة الجزائرية العظيمة من ميدان المعركة منتصرة مظفرة بعد ان استماتت واستبسلت لتعيد للارض الجزائرية حريتها وعروبتها ، وتراثها حتى اخذت تخوض الآن معركة جديدة هي في الواقع اشد ضراوة واقسى شجاعة من اجل خلع ما وزعه المستعمر في الارض والنفس والذات الجزائرية من ثقافة مشوهة ولغة دخيلة لا تمت الى واقع الانسان العربي في المغرب بصلة .

وانجد الشعب العربي الجزائر الشقيقة فارسل لها البعثات تلو البعثات ومجموعات من المعلمين والمعلمات والعلماء والخبراء مشاركا اياها في معركتها الجديدة باعادة الضياء والعظمة لمجد اللغة العربية وآثارها وتراثها .

وكان اهم ما في هذه المعركة استعداد الشعب الجزائري بالذات لان يكون صداها الاول ذلك لان الانسان اذا لم يكن هو راغبا في الشيء فان اية قوة في العالم لا تستطيع ارغامه على قبوله .

وهكذا فقد وجدت اللغة العربية نفسها تنساب الى الذات الجزائرية انسيابا عجيبا يتألق فيه ماضي الامة العربية وحضارتها التي اشعت في العالم طوال عشرة قرون .

وساهمت الجامعة العربية في ذلك مساهمة فعالة فأسست في الرباط « المكتب الدائم لتنسيق التعريب في المغرب (1) العربي الكبير» واخذ هذا المكتب يصدر النشرات والمجلات والكتب طارحا فيها بكل قوة وثقل تعريب كل ما هو اجنبي حتى ان المراقبين يتوقعون أن تكون اللغة العربية اكثر ازدهارا منها في المشرق العربي وذلك خلال العشر سنوات القادمة .

وقد اطلعت مؤخرا على دراسة كتبها الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله الامين العام للمكتب الدائم لتنسيق التعريب ، اجرى فيها مقارنة بين العاميتين في بلاد المغرب وبلاد الشام .

ومن مظاهر الاختلاف بين العاميتين في المنطقتين العربيتين ان العامية المغربية تحتفظ بالهمزة في بعض الاحوال مثل ابليس واسير وابريق بينما تسقط في بلاد

(1) في العالم العربي كله لا في المغرب العربي فقط .

الشام فيقال بدل امير « مير » وابليس « بليس » او « يبليس » فى المغرب وابريق « بريق » .

تتحول الثاء فى الشام الى سين « مثل : حديس وخبيس ومؤنس بدل حديث وخبيث ومؤنث بينما تنقلب الى تاء فى المغرب كما تبدل الذال زايا فى الشام « ذوق » زوق وكذب « كزب » واذا : « ازا » فى حين يحتفظ اللفظ الدارج المغربي بأصالته العربية وتنوب العين مناب الجيم الارامية فى الشام مثل عدف بدل جدف « من قذف الارامية » فى حين تنقلب بالمغرب قافا فى هذه الحالة « تذف » وهي أقرب هنا الى الارامية رغم عدم تأثر المغرب بهذه اللهجة نظرا لكون المغرب اقتبسها مباشرة من الفصحى .

ويتابع الاستاذ بنعبد الله بايراد امثلة الاختلاف فيقول : وتتحول الميم فى الشام نتيجة للتأثير الارامي كذلك الى نون فى آخر الضمير المتصل فى جمع المخاطب والغائب المذكرين مثل ضربكن بدل ضربكم ، وضربن عوض ضربهم ، وتسقط الهاء من الضمير المتصل للغائب والغائبة فى حالتي الافراد والجمع ضربوا « ضربه » ضربهن بينما لا تسقط فى اللهجة المغربية الا فى الحالة الاولى « ضربوا — ضربها » .

وفى العامية المغربية نزيد الكاف او التاء فنقول تياكل او كياكل بينما تزيد العامية المصرية الحاء فتقول حايكل « اي رايح يأكل » ولعل الحرفين الزائدين وهما التاء والكاف فى العامية المغربية من ادوات الخطاب وهما انت وانك كأننا نستشهد المستمع على ما يفعل الشخص المتحدث عنه فنقول : انت تراه يأكل وانت تراك تأكل وانك تراه يأكل وانك تراك تأكل فاختصر الخطاب فى الحرفين الاخيرين وتزيد العامية احيانا العين فتقول « غايكل » ولعل اصلها راء « رايأكل » اي رآه يأكل بمعنى رآه وتراه او يراه يأكل .. وتدخل بعض اللغات السامية .. كالفارسية الباء على الاسماء فتقول بمارستان بدل مارستان ويقال بأن اصل الباب بيت .

وقد أكد دوزي فى مقدمة مستدركه على المعاجم العربية : ان العربية الفصحى هي اساس اللهجة المتفرعة عنها بينما زعم برونو فى خصوص المغرب ان اللهجات الحضرية واقل منها اللهجات البدوية — لم تقتبس ما يستحق الذكر من العربية الفصحى قبل الحماية الفرنسية ! ولا يخفى ما فى هذا الادعاء من التهافت الرخيص .

وفى النشرة التربوية التي تصدرها وزارة التربية الوطنية فى الجزائر جاء فى احدى افتتاحياتها بعض التوجيه فى هذا الخصوص للمعلمين العرب الذين وفدوا الى الجزائر لتعليم ابنائها طالبة منهم التخلي عن لهجاتهم المحلية التي لا يفقه الطالب الجزائري منها شيئا ، وقالت فى ختام الافتتاحية: اننا نقترح على اخواننا الوافدين من المعلمين العرب بعض الحلول التي تساعدهم على اجتياز هذه العقبة وتساعد التلاميذ فى نفس الوقت على تعلم اللغة العربية .

1 — ان تستعمل الفصحى — فى اغلب الاحايين — وسيلة للتعليم .

2 — ان يستعمل المعلم الوافد بعض الكلمات الجزائرية المحلية مثل « ما كان شي : ماكاش » بدلا من «ماكو » — مافيش — أو « ما في » و — كأس بدلا من — كلاص — أو كباية او كبابة — وهلم جرا .

3 — من بين الكلمات الجزائرية المحلية ما هو عربي فصيح ، مثل كلمة كأس السابق ذكرها وكلمة سروال ولا بأس — الخ.

ولذا على المعلم ان يستعمل هذه الكلمات عند الحاجة اليها وعليه أن يبتعد عن الكلمات المحلية الشائعة والمستعملة فى قطره لانها تعسر الطريق ولا تيسره .

وهكذا كانت عشرات النشرات التي تصدر فى الجزائر تلح الحاحا عظيما على تعليم اللغة الفصحى بالذات دون ان يتسرب لها كلمات من اللهجات العامية العربية المختلفة وهذا يعني ان الجيل العربي الجزائري الجديد سوف يفتح عيونه على لغته العربية وهي فى احلى اردیتها وحللها لغة فصيحة نقية من الشوائب ، وبالتالي فان الاعوام القليلة القادمة سوف تشهد انبعاث اللغة العربية الفصحى على لسان العرب المغاربة فيسبقون بذلك عرب المشارقة ويعود للغة العربية مجدها الغابر فى شق دربها من جديد لتحل محل اللغات الدخيلة على المغرب العربي الكبير .